﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾ [المائدة: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تحدَّث الحقُّ – تبارك وتعالى – في الآية السَّابقة عمَّن كان مصيرهم النَّار المتوقِّدة، فهي مصيرهم بما كذَّبوا، "ولمَّا كان من الأجر ما يحصل من أسباب السَّعادة في الدُّنيا، قال تعالى ذاكرًا لهم بعض ذلك، مذكِّرًا ببعض ما خاطبهم به؛ ليُقْدِموا على مباينة الكفرة، ويقفوا عند حدوده كائنة ما كانت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أي: صدَّقوا بالله ورسوله وكتابه، ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾، أي: الذي أحاط بكلِّ شيء قدرة وعلمًا"[1].

وجاءت هذه الآيةُ بعد ثلاث آيات من "قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المَائِدَة: 7]، أُعِيدَ تَذْكِيرُهُمْ بِنِعْمَةٍ أُخْرَى عَظِيمَةٍ عَلَى جَمِيعِهِمْ؛ إِذْ كَانَتْ فِيهَا سَلَامَتُهُمْ، تِلْكَ هِيَ نِعْمَةُ إِلْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ؛ لِأَنَّهَا نِعْمَةٌ يَحْصُلُ بِهَا مَا يَحْصُلُ مِنَ النَّصْرِ دُونَ تَجَشُّمِ مَشَاقِّ الْحَرْبِ وَمَتَالِفِهَا"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماضٍ من آمنَ يؤمنُ، وجذرُه اللغويُّ من (أمن)، وهو يدلُّ على سكونِ القلبِ وتصديقِه[3]، وأصلُ الأمنِ طمأنينةُ النَّفسِ، وزوالُ الخوفِ[4]. أمَّا "آمنَ"؛ فلهُ وجهانِ[5]:

أحدُهما: أنْ يكونَ متعدِّيًا، تقولُ: آمنتُه؛ إذا جعلتَ له الأمنَ والأمانَ، ومنه في وجهٍ:[6] اسمُ اللهِ المؤمنِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/45.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/137.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).
(4) الرّاغب، المفردات: (أمن).
(5) الرّاغب، المفردات: (أمن).
(6) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى: (31 - 32).

والآخرُ: أنْ يكونَ لازمًا، ومعنى (آمنَ) على هذا: صارَ ذا أمنٍ، والإيمانُ: التَّصديقُ باتِّفاقِ أهلِ اللُّغةِ[1].

ونازعَ في هذهِ الحقيقةِ اللُّغويَّةِ جماعةٌ[2]، والإيمانُ في الشَّرعِ يطلقُ إطلاقين[3]: إطلاقًا عامًّا تندرجُ فيه جميعُ أمورِ الدِّينِ العلميَّةِ والعمليَّةِ، فهو بهذا الاعتبارِ قولٌ وعملٌ واعتقادٌ.

وإطلاقًا خاصًّا، والمرادُ بهِ التَّصديقُ والإقرارُ بأصولِ الإيمانِ السِّتَّةِ المشهورةِ، فهمْ أبدلُوا الكفرَ بالإيمانِ، وخلا ذلكَ؛ فإنَّ للإيمانِ تعريفًا اصطلاحيًّا، وهو التَّصديقُ والإقرارُ بالأصولِ السِّتَّةِ الواردةِ في الحديثِ الطَّويلِ، ومنهُ قولُه: بـ«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»[4].

ومعنى آمنوا في الآية: "يا أيها الذين أقرُّوا بتوحيد الله، ورسالة رسوله ﷺ وما جاءهم به من عند ربهم"[5].

2) ﴿ٱذْكُرُواْ﴾: فعل أمر، والجذر اللغويُّ منه: (ذكر)، والذِّكْرُ: نقيضُ النِّسيان[6]، وله أصلان في المعنى، أحدهما "ذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلَافَ نَسِيتُهُ، ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ، وَيَقُولُونَ: اجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ، بِضَمِّ الذَّالِ، أَيْ: لَا تَنْسَهُ"[7].

و"الذِّكْرُ بالكسر له معنيان، أحدُهما: التَّلَفُّظُ بالشَّيء، والثَّاني: إحضارُهُ في الذِّهن، بحيثُ لا يغيبُ عنه"[8].

و"تارة يقال، ويراد به هيئة للنَّفس، بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ، إلَّا أنَّ الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذِّكْرُ يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشَّيء: القلب أو القول؛ ولذلك قيل: الذِّكر ذكران، ذكر بالقلب، وذكر باللِّسان"[9]، ومعنى ﴿ٱذْكُرُواْ﴾ في الآية: (احفظوا)، كما تَقُولُ: اذكر أياديَّ عندك، أي: احفظها[10].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (أمن).وهذا الاتفاق إنما هو في الحقيقة اللغوية لا الشرعية.
(2) ابن تيمية، الإيمان، ص: 101، وما بعدها.
(3) البراك، شرح العقيدة الطحاوية، ص: 293.
(4) مسلم، الحديث رقم: (9).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 10/100.
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة: (ذكر).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(8) الكفويّ، الكليّات، ص: 456.
(9) الراغب، المفردات: (ذكر).
(10) الفرّاء، معاني القرآن: 2/366.

3) ﴿نِعْمَتَ﴾: مصدر للفعل (نَعِمَ يَنْعَمُ)، وجذره اللغويُّ: (نعم)، و"النِّعْمَةُ: اليدُ، والصنيعةُ، والمنَّةُ، وما أُنْعِمَ به عليك، وكذلك النُّعْمى... وفلانٌ واسعُ النِّعْمَةِ، أي: واسع المال، وقولهم: إن فعلتَ ذاك فبها ونِعْمَتْ: يريدون نِعْمَتِ الخَصْلة"[1].

والأصل في معناه له فروع كثيرة في لغة العرب، و"كثرتها راجعةٌ إلى أَصلٍ واحدٍ يدلُّ على ترفُّهٍ وطيبِ عيشٍ وصلاحٍ، منهُ النِّعمة: ما ينعمُ اللّه تعالى على عبدهِ بهِ منْ مالٍ وعيشٍ، يقالُ: للّه تعالى عليهِ نعمةٌ، والنِّعْمَةُ: المنَّةُ، وكذا النَّعماءُ، والنَّعمةُ: التَّنَعُّمُ وطيب العيشِ"[2].

وهي كذلك حسن حالة المرء، وتقال للكثير والقليل[3]، والنِّعمة في هذه الآية منَّته تعالى عليهم؛ إذ دفع عنهم الشَّرَّ، وقصَّر عنهم أيدي الأعداء[4].

4) ﴿هَمَّ﴾: فعل ماضٍ، الجذر اللغويُّ منه: (همم) "همَّ بالشَّيْء يهِمُّ همًّا؛ إذا عَزَم عَلَيْهِ، أَو حدَّث بِهِ نَفسه"[5]، و"الهَمُّ الحَزَنُ الذي يذيب الإنسان، يقال: هَمَمْتُ الشَّحم فَانْهَمَّ، والهَمُّ: ما هممت به في نفسك، وهو الأصل"[6].

"ومنه "هَمَّ بالشَّيء: نواه، وأراده، وعزم عليه، "كأنَّما تحلَّبت إرادته وهَوَاه بشدَّة نحو الشَّيء، كما يسيل اللُّعاب شهوةً إلى الطَّعام"[7].

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾[8] في الآية: أَنَّ "الْأَعْدَاءَ يُرِيدُونَ إِيقَاعَ الْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ بِهِمْ، لَكِنَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُهُمْ بِفَضْلِهِ"[9].

5) ﴿يَبْسُطُوٓاْ﴾: فعل مضارع يدلُّ على الحال والاستقبال مسند هنا لواو الجماعة، الجذر اللغويُّ منه (بسط)، والبسط في الفعل نقيض القبض، والبسط يدلُّ على الزِّيادة أيضًا[10].

(1) الجوهري، الصحاح: (نعم).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).
(3) الراغب: المفردات: (نعم).
(4) القشيري، لطائف الإشارات: 1/408.
(5) الجوهري، الصحاح: (همم).
(6) الراغب، المفردات: (همم).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (همم).
(8) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/112.
(9) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/208.
(10) الأزهري، تهذيب اللغة: (بسط).

والأصل في معنى البسط: "امْتِدَادُ الشَّيْءِ فِي عِرَضٍ أَوْ غَيْرِ عِرَضٍ، فَالْبِسَاطُ: مَا يُبْسَطُ، وَالْبَسَاطُ: الْأَرْضُ... وَالْبَسْطَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ: السَّعَةُ"[1].

وبسط اليد في الآية هو "بِمَعْنَى: الْإِيذَاءِ الْمُطْلَقِ... فَإِنَّ أَكْثَرَ الْإِيذَاءِ الْعَمَلِيِّ يَكُونُ بِمَدِّ الْيَدِ"[2].

6) ﴿فَكَفَّ﴾: فعل ماضٍ، الجذر اللغويُّ له: (كفف)، "وسمِّيت كُفَّة الثَّوْب؛ لِأَنَّهَا تَمنعهُ أَن تَنْتَشِر، وأصل الكفِّ: المَنْع، وَلِهَذَا قيل لطرف الْيَد: كفٌّ؛ لِأَنَّهَا يُكَفُّ بهَا عَن سَائِر الْبدن، وَهِي الرَّاحةُ مَعَ الْأَصَابِع"[3].

والأصل في المعنى: دلالته عَلَى قَبْضٍ وَانْقِبَاضٍ[4].

و"المعنى المحوريُّ: قَبْضُ الطَّرَف المنتشر، وثَنْيه ورَدُّه فلا ينتشر... وكلُّ كفٍّ الأيدي أو القوم عن؛ فهي بمعنى: الصَّرف عن القتال، أو عن العدوان"[5].

ومعنى كفِّ اليد في الآية: "فَهُوَ مَجَازٌ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ السُّوءِ خَاصَّةً، وَكَفِّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ"[6].

7) ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: أمرٌ منه بالتَّقوى، وجذره اللُّغويُّ من: (وقي)، والأصل في معناه: "كلمة واحدة تدلُّ على دفع شيء عن شيء بغيره... والوقاية: ما يقي الشَّيء، واتَّقِ اللّٰه: توقَّه، أي: اجعل بينك وبينه كالوقاية"[7].

ومعناه المحوريُّ: "حفظ من الأذى، أو الضَّرر باتِّخاذ حاجز دونه، كالوقاية: الحاجز ثَوْبًا، أو حَشِيَّة أو وَرَقًا"[8].

و"الوِقَايَةُ: حفظُ الشَّيءِ ممَّا يؤذيه ويضرُّه، والتَّقْوَى: جعل النَّفس في وِقَايَةٍ ممَّا يخاف، هذا تحقيقه، ثمَّ يسمَّى الخوف تارة: تَقْوًى، والتَّقْوَى خوفًا... وصار التَّقْوَى في

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بسط).
(2) رضا، تفسير المنار: 7/521.
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (كف).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفّ).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كفف).
(6) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/138.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقى).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وقى).

تعارف الشَّرع: حفظ النَّفس عمَّا يؤثم، وذلك بترك المحظور".[1] و"الاتِّقاء: هو افتعالٌ من الوقاية، وهي فرطُ الصِّيانة، وشدَّةُ الاحتراس من المكْرُوه"[2].

ومعنى: "اتَّقوه على نحو ما أمركم ونهاكم، وليس فيه تكليف بما لا يطاق"[3]، والمراد من قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ في الآية: "معناها المتعارف في اللُّغة لا المعنى الشرعيِّ... والمراد باتِّقائه: اتِّقاؤه من حيث ما يحدث فيه من الأهوال والعذاب"[4].

ومعنى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الآية: "الشُّعور بعظمته، والإحساس بجلاله، وامتلاء القلب به، واطمئنانه إليه، ورجاء ثوابه، وخشية عذابه، وعبادته كأنَّه يراه".[5] كما ورد في الحديث: «أَنْ تَعْمَلَ للّه كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[6].

8) ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: فعل أمر، الجذر اللُّغويُّ منه: (وكل)، "والتَّوَكُّلُ: إظهار العجز، والاعتماد على غيرك، والاسم: التُّكلانُ، واتَّكَلْتُ على فلانٍ في أمري؛ إذا اعتمدته"[7].

ومعنى الأمر بالتوكُّل في الآية: هو أن يعتمدوا في أمورهم عليه سبحانه، لا على غيره في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه[8].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

في الآية نوعان من أسباب النُّزول: الأوَّل عامٌّ، فلقد "كَانَ الْمُشْرِكُونَ أَبَدًا يُرِيدُونَ إِيقَاعَ الْبَلَاءِ وَالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ بِالْمُسْلِمِينَ، واللّه تَعَالَى كَانَ يَمْنَعُهُمْ عَنْ مَطْلُوبِهِمْ، إِلَى أَنْ قَوِيَ الْإِسْلَامُ، وَعَظُمَتْ شَوْكَةُ المسلمين"[9]، والنَّوع الثَّاني من سبب النزول: خاصٌّ، منه محاولة أعرابيٍّ قتل الرَّسول ﷺ ومنه محاولة رجل من محارب قتل الرسول ﷺ ومنه محاولة بني النَّضِير من اليهود قتله، وهو بينهم، يطلب ديَةَ قتلهم رجلًا مسلمًا، فجاء رجل منهم

(1) الراغب، المفردات: (وقى).
(2) الكفوي، الكليّات، ص: 38.
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (وقى).
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 1/484.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2067.
(6) الإمام أحمد، المسند، الحديث رقم: (2924).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (وكل).
(8) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/139.
(9) الرازي، مفاتيح الغيب: 11/186 - 187.

"إلى رجًى عظيمة؛ ليطرحها عليه، فأمسك الله تعالى يده، وجاء جبريل عليه السلام وأخبره بذلك، فخرج رسول الله ﷺ وأنزل الله تعالى هذه الآية"[1].

وفي الآية أمر منه تعالى إلى المؤمنين من عباده بأن يتذكَّروا نعمته وفضله عليهم، بأن منع عنهم قوم "شارفوا أن يمدُّوا أيديهم إليكم بصنوف البلاء من قتل ونهب، فكفَّ الله تعالى بلطفه ورحمته أيديهم عنكم"[2]، فعليكم آنئذٍ أن تتَّقوه، وهو الَّذي أراكم قوَّته، وأنجاكم من أعدائكم وقت ضعفكم، فاعتَمِدوا على الله، فكما أحسن إليكم في سالف الزَّمان، فبتوكُّلكم أُحْسِن إليكم فيما هو قادم، في جلب مصالحكم الدينيَّة والدُّنيويَّة، وتبرَّؤوا من حولكم وقوَّتكم، وثِقُوا بالله تعالى في حصول ما تحبُّون.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

وجهُ افتتاح الآية بأسلوب النِّداء مع ضمير الجمع:

حصول إقبال السَّامعين وأنَّ الأمر متعلِّق بالمؤمنين جميعًا

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدَّر الآية بأسلوب النِّداء، مع اقترانه بضمير الجمع؛ "لِيَحْصُلَ إِقْبَالُ السَّامِعِينَ عَلَى سَمَاعِهِ، وَلَفْظُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)، وَمَا مَعَهُ مِنْ ضَمَائِرِ الْجَمْعِ: يُؤْذِنُ بِأَنَّ الْحَادِثَةَ تَتَعَلَّقُ بِجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ"[3].

دلالة رسم تاء ﴿نِعْمَتَ﴾ مفتوحة:

النِّعمةُ هنا للبسط والتَّوسُّع وهي أكبر ممَّا رُسم في الأحزاب

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، فالجملة وردت في موضعين من القرآن الكريم: هنا، وفي الأحزاب، وهذا هو الموضع الأوَّل، فقد "كرِّرت هذه الجملة للتَّأكيد بلزوم تذكر النِّعمة، وشكر المنعم، والشُّكر بمقابل النِّعمة واجب، ولغيرها

(1) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص: 194.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 6/71.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/137.

مندوب"[1]، ورسمت التَّاء في ﴿نِعۡمَتَ﴾ هنا مفتوحة، والفتح دليل البسط والتوسُّع؛ لأنّ هذه "النِّعمة غير تلك المذكورة في الآية السَّابقة؛ لأنَّها لمطلق التَّذكر، وهذه بمقابل ما أزاله عنهم ورفعه المبين"[2]، فالنِّعمة هنا أكبر من النِّعمة في موضع الأحزاب التي جاءت تاؤها مقفلة ﴿نِعۡمَةَ﴾ [الأحزاب: 9].

إفراد ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ فيه دلالة عظيمة:

النِّعمةُ الواحدة تستحقُّ شكر الله عليها فضلًا عن النِّعم الكثيرة

قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾، وردت كلمة ﴿نِعۡمَتَ﴾ بالإفراد دون الجمع، وفي ذلك دلالة عظيمة، وهي أنَّ "كلَّ نعمة على انفراد تستحقُّ أن نشكر الله عليها، فكلُّ نعمة مفردة في عظم وضخامة تستحقُّ الشُّكر عليها، أو أنَّ نعمة الله هي كلُّ فيضه على خلقه، فأفضل النِّعمة أنَّه ربُّنا"[3].

تأخير المتعلَّق في ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾:

شمول النِّعمة على خلقه وعدم تخصيصها بقوم

قوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾، جاء المتعلَّق ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ متأخِّرًا عن نعمة الله، وفائدة تأخيره شمول النعمة جميع خلقه؛ إذ لو تقدَّم؛ لأفاد التخصيص، وهو غير مراد؛ فإنَّ نعمة الله مبذولة لخلقه، لم يخصِّصها لطائفة دون الأخرى.

بلاغة تقديم المجرور ﴿إِلَيۡكُمۡ﴾ على المفعول ﴿أَيۡدِيَهُمۡ﴾:

تسليةٌ للرَّسول ﷺ وامتنانٌ على المؤمنين

قوله تعالى: ﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾، وردت الأيدي مرَّتين في الآية، ففي المرَّة الأولى وردت متأخِّرةً عن المتعلَّق ﴿إِلَيۡكُمۡ﴾؛ لأنَّ الحديث عن فعلة أولئك الَّذين أرادوا الشَّرَّ بالرَّسول ﷺ فكان همُّهم الوصول إليكم، فقدَّمه، أمَّا في المرة الثانية؛ فقد قدَّم الأيدي بقوله: ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ بتقديم المفعول على

(1) ملا حويش، بيان المعاني: 6/305.
(2) ملا حويش، بيان المعاني: 6/305.
(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 5/2981.

المجرور، وسرُّ ذلك: "أنَّ الآية خرَجَت مخرج التَّسلية للنَّبيِّ - صلَّى الله عليه وعلى آله وسلّم - والامتنان على المؤمنين بأنَّ الله تعالى لم يخذلهم، ولم يمكِّن عدوَّهم منهم، وذكر معها جملتان: أحدهما محْكية عن الكفار وهي مثبتة، فكان الأعمُّ فيها تقديم المنوع لَا تقديم المنوع منه"(1).

دلالة استعمال بسط اليد في الإيذاء:

غـالـب حـال الإيـذاء العملي يكون ببسط اليد

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ﴾، ذكر اليد هنا مرَّتين: الأولى: في محاولتهم إيذاء الرَّسول ﷺ والثَّانية: كفُّه تعالى هذه الأيدي عنه ﷺ "وَقَدِ اسْتُعْمِلَ بَسْطُ الْيَدِ بِمَعْنَى الْإِيذَاءِ الْمُطْلَقِ... فَإِنَّ أَكْثَرَ الْإِيذَاءِ الْعَمَلِيِّ يَكُونُ بِمَدِّ الْيَدِ، فَإِنْ أُرِيدَ إِيذَاءٌ مُعَيَّنٌ ذُكِرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً فِي قِصَّةِ ابْنَيْ آدَمَ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي﴾"(2).

بسـط الـيـد - بمعنى الإيذاء - مجاز

استعمال مصطلح البسط مع اليد في الإيذاء والبطش ليس على باب الحقيقة في قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ﴾، بل هو "مَجَازٌ فِي الْبَطْشِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة: 2]... وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِي مُحَاوَلَةِ الْإِمْسَاكِ بِشَيْءٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ ابْنِ آدَمَ: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ﴾"(3).

سرُّ استعمال كلمة قوم دون غيرها:

بـيـانُ الـحـالـة الـنَّـشـطـة للإنسان

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، ذكر في هذه الآية الفاعل معبِّرًا عنه بكلمة ﴿قَوْمٌ﴾، وهي كلمة "إذا سمعتها؛ ففيها معنى القيام، والقيام هو أنشط حالات الإنسان... فالقائم هو الَّذي يتعب أكثر من الآخرين؛ لأنَّ ثقل

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/97.
(2) رضا، تفسير المنار: 7/521.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/138.

جسمه كلِّه على قدميه الصَّغيرتين... ولذلك يطلقونها على الرِّجال فقط؛ لأنَّ من طبيعة الرَّجل أن يكون قوامًا، ومن طبيعة المرأة أن تكون هادئة وديعة ساكنة مكنونة، فالقوم هم الرِّجال"[1].

إظهار ما حقّه الإضمار:

الإشارة إلى إرادة اللهِ وقوّته

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ﴾، ذكرت كلمة ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ مع الفعل ﴿يَبْسُطُوٓاْ﴾، ثمَّ كرَّرها مع الفعل (كفَّ)، ويجوز لغة ألَّا يكرِّرها بأن يعوِّض منها بالضَّمير؛ لأنَّ الضَّمائر تعوِّض من تكرار الأسماء الظَّاهرة[2]، بأن يقال: (إذ هَمَّ قَومٌ أَن يَبسُطُواْ إِلَيكُم أَيدِيَهُم فَكَفَّها عَنكُم)، لكنَّه أظهر الاسم هنا، وحقُّه الإضمار "لزيادة التَّقرير، وللإشارة إلى أنَّه سبحانه هو الَّذي قضى على موضع قوَّة أعدائهم، ومناط شدَّتهم؛ إذ الأيدي هي من أهمِّ وسائل البطش والقتل، أي: إنَّه سبحانه قد منع أيديهم عن أن تمتدَّ إليكم بالأذى عقيب همِّهم بذلك؛ دفاعًا عنكم أيُّها المؤمنون، وحماية لكم من الشُّرور"[3]، وفيه - أيضًا- زيادة في التَّقريع أنَّ الحقَّ ﷻ مانع أيديهم من أن تصل إليكم.

تأخير فعل التَّقوى عن فعل الذِّكر:

تقوى الله تعالى فيها إظهار عميم لشكره على نعمه

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾، هنا جاء فعل التَّقوى متأخِّرًا عن فعل الذِّكر، وجاء الأمر "بِالتَّقْوَى عَقِبَ ذَلِكَ؛ لأنَّها أظهر للشُّكر، فَعَطَفَ الْأَمْرَ بِالتَّقْوَى بِالْوَاوِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ التَّقْوَى مَقْصُودَةٌ لِذَاتِهَا، وَأَنَّهَا شُكْرٌ للّه بِدَلَالَةِ وُقُوعِ الْأَمْرِ عَقِبَ التَّذْكِيرِ بِنِعْمَةٍ عُظْمَى"[4].

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 4/2984.
(2) أنيس، من أسرار اللغة، ص: 274.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/76 - 77.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/139.

دلالة عطف التَّوكُّل على التَّقوى:

التَّوكُّل مقترن بالتَّقوى، ولا يحصل إلَّا بالسَّير على سنن الله

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، من باب عطف الجمل؛ فقد عطف فعل التَّوكُّل على فعل التَّقوى، "وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: إنَّ اللَّه تَعَالَى أَمَرَنَا بِالتَّقْوَى ثُمَّ بِالتَّوَكُّلِ، وَإِنَّمَا التَّقْوَى: بَذْلُ الْجُهْدِ فِي الْوِقَايَةِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَكُلِّ شَرٍّ، وَمِنْ مَبَادِئِ ذَلِكَ وَأَسْبَابِهِ، وَلَا تَحْصُلُ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ إلَّا بِالسَّيْرِ عَلَى سُنَّةِ اللَّه تَعَالَى فِي نِظَامِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ"[1]، فالتَّوكُّل والتَّقوى مقترنان، ولا يحصل التَّوكُّل إلَّا بعد حصول التَّقوى، والسَّير وفق سننه تعالى.

تقديم الجارِّ والمجرور على الفعل:

اختصاص التَّوكُّل على الله وحده

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، يجوز لغة أن يقول: (فليتوكَّلِ المؤمنونَ على الله)، إلَّا أنَّ المعنى يختلف في أنَّ معنى الأولى: "وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ بِقُدْرَتِهِ وَعِنَايَتِهِ وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، لَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنْفُسِهَا، وَلَا عَلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَحُلَفَائِهِمْ"[2]، فيه اختصاص التَّوكُّل على الله وحده دون سواه، وهذا غير متوافر فيما لو جاء بالجارِّ والمجرور متأخِّرًا.

إظهار ما حقُّه الإضمار:

بيان فضل الله على خلقه وأنَّ توكُّلهم عليه كافيهم

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ تكرار لفظ الجلالة مع فعل التَّوكل – بعد فعل التَّقوى – إظهار حقُّه الإضمار، فيجوز لغة إضماره بأن يقال: (وعليه فليتوكَّل المؤمنون)، لكنَّه أظهره هنا لبيان فضله على خلقه، وأنَّهم إن توكَّلوا عليه؛ كفاهم ما هم فيه، و"التَّوكُّل سكون السِّرِّ عند حلول الأمر، ونهاية التفويض، وفيها يتساوى الحلو والمرُّ، والنِّعمة والمحنة"[3].

(1) رضا، تفسير المنار: 6/230.
(2) رضا، تفسير المنار: 6/230.
(3) القشيري، لطائف الإشارات: 2/34.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»